وزارة الإعـــلام
هيئة الاستعلامات

منوعات

دعائم الدولة العصرية
العـلم .. والإيمان

وزارة الإعـــلام
هيئة الاستعلامات

دعائم الدّولة العصْرية
العـلم .. والإيـمان

دعائم الدولة العصرية
العلم والايمان

بقلم : عبد الرحمن النجار
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

اولا : مقدمة :

الديانات السماوية كلها ، تدعو الى اقامة المجتمع المتكامل فى علمه وأخلاقه ، والى بناء الدولة على أسس أصيلة من العلم والايمان لتبنى حياتها فى اتجاه علمى أخلاقى ، وتأخذ مكانها اللائق بها بين دول الأرض .. وتحيا عزيزة حرة فى دنيا الناس . والاسلام ينعى على الذين يرضون بحياة الذلة والضعف ، وينظرون فيمن حولهم من أبناء الأمم الأخرى ، وهم ينهضون ويتقدمون ، نظرة سلبية ، لا يقدمون معها جهدا يدفع بهم الى الطريق الصحيح للتمكين لمبادىء الحق والخير والفضيلة . ونقرأ فى ذلك قول الله تعالى ينص على اولئك الذين يختارون حياة الضعف ، ويقبلون الذل والهوان فيقول : (ان الذين توفاهم

الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) .

ولقد أوجد الله متاع هذا الكون كله بما فيه ومن فيه لنسعد به لا لنشقى وتترك غيرنا ينتفع بما فيه من خيرات ، ان الله لم يخلقه لنفسه فهو سبحانه غني عن العالمين . ولم يخلقه لملائكته فالملائكة جنس لا يجوع فيشبع بطعام ، ولا يظمأ فيروى بماء ، ولا يعرى فيحتاج الى لباس انما هم خلق من خلق الله طبعهم على العبادة وفطرهم على الطاعة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

ولم يخلق للعجماوات من المخلوقات ، فهي تعيش وتأكل وتشرب بلا عقل أو ارادة ، وليست هي أهلا للتكليف ولا للجزاء . وانما خلقه كله لنا ، نحن بني الانسان .. خلق لنتأمل فيه : ونستخرج خيراته ونتعرف على مكنوناته ، ويقول في ذلك القرآن الكريم : (الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك

لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الانهـار ، وسـخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصـوها ان الانسان لظلوم كفار) .. وبهـذا فان الانسـان مستخلف فى الأرض لتعميرها ، واثرائها بالحركة والحياة ، قال تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض . فمن كفر فعليه كفره ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ، ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) . والاستخلاف فى الأرض يترتب عليه الجزاء فى الآخرة على قدر العمل فى الدنيـا ، فمن يعمل خيرا يجز خيرا ومن يعمل سوءا يجز شرا . وهذه القاعدة : قاعدة الاستخلاف فى الدنيـا ، ثم الجزاء على قدر العمل فى الآخرة هو الميزان الحـق الذى به يستقيم الأمر فى الدنيا والـذى به تستكمل الشخصية الانسانية ذاتيتها وتتأهل للمرتبة التى تستحقها فى دار الجزاء (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

ثانيا : الاسلام دين البشرية كافة :

وحينما تطورت البشرية ووصلت الى مرتبة الاعداد لتلقى الرسالة الخاتمة التى تقوم معجزتها الأساسية على العقـل وهى

القرآن الكريم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام هدى ورحمة للعالمين (قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) انه دين يوجه الناس الى حظيرة التوحيد بعد أن انحرف الناس وعبدوا معبودات مختلفة (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

دين يؤكد الاخوة البشرية ويحقق الكرامة الآدمية فلا يميز بسبب لون أو عنصر أو جنس . قال تعالى : (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم . ان الله عليم خبير) . دين يجمع بين القوى والسلام . فالسلام فى شريعته ليس هو الاستسلام ، ولكنه سلام الأقوياء الأحرار (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

هذا الدين بهذه المبادىء يهدف الى اقامة المجتمع الفاضل مجتمع الاحرار الاقوياء الذى يحيا فيه كل انسان آمنا فى مسكنه ، حرا فى ارادته ، لا يذل جبهته الا لقيوم السماوات

والأرض القائم على كل نفس بما كسبت .. هذا المجتمع لا بد له من دعائم يقوم عليها وأهمها دعامة العلم والايمان ..

ثالثا : طرقنا الثلاثة :

وقد حدد القائد المناضل الرئيس أنور السادات مسيرة أمتنا الآن فى ثلاثة طرق متوازية :

١ ـ طريق البناء العسكرى :

وهو الأساس ، وذلك واضح من واقع ديننا وتوجيهات نبينا ، فالقرآن الكريم يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) وكانت الخيل فى تلك العصور الماضية تمثل أقوى الأسلحة الضاربة ، ويقاس عليها كل سلاح ضارب يوجد بتطور الزمن وتقدم العلوم والفنون العسكرية . والقرآن الكريم يدعو الى تنظيم صفوف الجيش المقاتل فيقول (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) .

٢ ـ طريق البناء السياسى :

من أجل ان يعلم العالم وأن يعلم العدو والصديق موقفنا وسعينا الى السلام القائم على العدل ، ليس كما يتصور البعض

السلام بأى ثمن ، انه السلام القائم على العدل النابع من واقع ديننا ، فلقد كان الرسول يبعث برسائله الى حكام الدول الأخرى ولم يكونوا على دينه يبين لهم مبادىء الدين الذى يدعو اليه ، ويبدأ الرسائل بقوله : (سلام على من اتبع الهدى) . وكان كثيرا ما يدير الحوار مع المعارضين له ليوضح لهم مبادىء الاسلام ، وهى مبادىء الحق والعدل والخير .

والقرآن الكريم يوضح الاطار الذى يحكم علاقاتنا بغير المؤمنين فى قوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهـاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

٣ ـ طريق بناء الدولة الحديثة القائمة على العلم والايمان :

ويمضى القائد المناضل يقول فى كلمة له الى علماء المسلمين : اعتبر ان هذه الطرق الثلاث لا بد أن تسير فى مسيرة واحدة من أجل المعركة وفى كل شىء ننطلق منه اليوم انما ننطلق من انطلاق واحد هو : أن لا صوت يعلو على صوت المعركة . أريد أن أقول لكم ـ والخطاب لعلماء المسلمين ـ وأنتم أعلم منى

بقوله عز وجل (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) . علينا أمانة وتبعات فى بناء دولة العلم والايمان . عليكم أنتم تبعات فى هذا البناء الجديد لكى يقوم الايمان كما اراده الله سبحانه وتعالى ، ايمان بالله سبحانه وتعالى فلا يخشى الانسان أى شىء ، ولن يصيب الانسان أى شىء غير مقدر له عندئذ سيكون قويا . (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) سيكون قويا صلبا لا يخاف أحدا ولا يخشى شيئا أبدا ، نريد أن نمحو من طريق الايمان الخوف من كل طبقات شعبنا الطيب الأصيل فلا نخاف أحدا الا الله سبحانه وتعالى ، انها أمانة بين أيديكم ويعلم الله وقد قلت فى حديثى امام الشعب ، اننى لن أفرط فى الامانة ابدا لا بد أن تتطهر أرضنا من الاحتلال ، ولا بد أن نبنى الدولة القائمة على العلم والايمان ولا بد أن ننطلق فى هذا العصر من المنطلق الصحيح وهو أن نعيش عصرنا ولا نتخلف فيه ويكون عدونا سابقا لنا ، فيفاجئنا فى وقت من الأوقات .

بهذا الحديث الرائع من قائد الشعب وضح لنا أساس دولتنا العصرية وهو العلم والايمان . وهو أساس يدعو اليه الدين ويؤكده فى جميع توجيهاته .

رابعا : مكانة العلم فى الاسلام :

ان عالمنا العربى والاسلامى يمر الآن بمرحلة نسميها مرحلة الاكتشاف الثانى للكون . فالمرحلة الأولى هى مرحلة اكتشـاف قارات جديدة ، وقد تخلفنا فيها ، فاستعمرنا من الدول المعتدية اسـتعمارا استمر ثلاثة قرون وأحاط الأعداء بالمسلمين فى قارتى أفريقيا وآسيا ، ونحن الآن نمـر فى مرحلة الاكتشاف الثانى وهو الفضـاء ، فعلينـا ألا يفوتنا هذا الاكتشـاف ، وعلينا أن نتسلح بالسـلاحين : العلم والايمان ، هـذا على المسـتوى الحكومى .. أما المستوى الاقليمى فهو مرتبط بمعركة المصير ، فهى معركة مرتبطة أساسا بالعلم والايمان ، ثم يأتى المسـتوى المحلى ، ويقوم على الحرية وعلى سيادة القانون ، وعلى مقاومة كل ارهاب فكرى ، وعلى التحرر من الخوف فلا يخشى الانسان أحدا الا الله تبارك وتعالى ، وهذا المجتمع يقـوم على أساس العلم والايمان ، فمصيرنا اذن على المستوى الحكومى والاقليمى والمحلى قائم على العلم والايمان .

ولقد مجد القرآن الكريم العلم ، وأول ما يسترعى الانتباه تمجيـده له . واذا نظرنا الى كلمة العلم ومشتقاتها فى القرآن الكريم نجدها وردت فيه فى أكثر من ٨٥٠ (ثمانمائة وخمسين

مرة) وهذا الرقم الذى يقارب الألف يعطينا فكرة عن مكانه هذه المادة فى القرآن الكريم ، واذا عدنا الى ترتيب نزول القرآن وجدنا أن أول ما أنزل ربنا على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام كان قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فالأمر الالهى الأول : اقرأ ، والقراءة باسم ربك يعنى ليست باسم الاستعلاء والتكبر والظلم والهوى . ويأتى لفظ القلم ، وهو أول أداة يذكرها القرآن مقترنة بالعلم ، ومحددة المستوى الأخلاقى لهذا العلم ، ويعود ربنا ليقسم بالقلم فى ثانى سور القرآن نزولا وذلك فى قوله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون » ، فيكون هذا تاريخيا أول قسم لله فى القرآن الكريم ، وهو بهذا يكون سابقا لقسم الله بأى شىء من مخلوقاته ، يكون سابقا على قسمه بالشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ، وعناية القرآن الكريم بالعلم عناية شاملة تضم جوانب المعرفة الانسانية ، ويبدأ القرآن باشهاد أهل العلم على أخطر قضاياه وهى قضية التوحيد فيقول تعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » ، وتعتبر هذه الآية أجل

شهادات القرآن على الاطلاق فانها صـــدرت من الله وملائكته وأنبيائه وأولي العلم على قضية التوحيد ، وهي بالتالي شهادة على كل ما جاء في القرآن ، وليس المقصود بالعلم في القرآن هو العلم بالأمور الشرعية فقط ، بل انه يتسع ليشمل سائر العلوم والمعارف ، يلفتنا الى دراسة الكون والانسان « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفســـهم » . ويشــــير في بعض آياته الى رؤوس موضوعات أصبحت علما مستقلا بذاته ، وذلك في قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفـــا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عـــزيز غفور » ، ففي الآيات اشارات الى الغلاف المائي والصخري والجوي والنباتي والحيواني والانساني تضمها الآيات الكريمة وتربط بينها وبين خشية الله .

ان الاسلام لا يحتكم الا للعقل والمنطق والعلم لاثبات صدق الرسالة وتحقيق اهدافها ، ومن هنا كانت مكانة العلم والعلمـــاء في نظر القرآن فحفل بالآيات التي تعلي من شأنهم ، قال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، « وما

يعقلها الا العالمون .. لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك .. وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به . يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، وقل ربى زدنى علما .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) و (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (أطلبوا العلم ولو بالصين) ، (لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة) ، (ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) (يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم اتئد حتى تشفع للناس) .

ومن الأمور المسلمات ان مبادىء الاسلام ودعوته تتفق تماما مع مبادىء العلم ، وبنفس التأصيل مع أسس الحرية للانسان والمجتمع ، وان تاريخ التقدم العلمى المنظم والمطرد فى أوربا لم يبدأ الا بعد ظهور الاسلام ، فقد أسسوا النظرية العلمية للحياة والمنهج العلمى التجريبى فى العلم ، والقرآن يقرر أن مصدر كل أجزاء العلم الذى هو فى قدرة الانسان لطاقته هو علم الله لا يحد ولا يحاط به ، يقول تعالى « ولا يحيطون

بشيء من علمه الا بما شاء » ، « ربنـــا وسعت كل شيء رحمة وعلما » ، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبـــة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » . والقرآن يقدم العلم للمؤمنين فى ثلاثة أنواع :

١ ـ علم الدين :

وهو النبأ الصـــادق عن الله بالوحى الى رسله ، وفى كتبه المنزله ويتمثل فى العبادة والشريعة وأنباء الغيب ، وفى هذا العلم يقول الله على لسان ابراهيـــم « يا أبت انى قد جاءنى من العـــلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا ســـويا » ويقول عن المؤمنين من أهل الكتاب حين يستمعون الى القرآن ، فيجدون علم الدين به كالعلم الذى جاءهم : « ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليها يخرون للأذقان سجدا » .

٢ ـ علم الانســـــان :

أو علم التاريخ والاجتماع ، وهو النبأ الصادق عن الانسان ، والأمم . يقول الله فى أمثال هذا العلم : « ألم يأتكم نبـــأ الذين كفروا من قبـــل فذاقوا وبال أمرهم » ، « وعد الله الذين آمنوا

منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

٣ ـ علم الأشـــياء :

وهو النبأ الصادق عن الطبيعة ومفرداتها عن المادة الحيـــة وغير الحية ، هـــو علم القـــوانين التى بها تتحرك المادة وتتغير وتتطور ملء السموات والأرض ، يقول الله فى هذا النوع من العلم «فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم» ، « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون) .

ومن قـــوانين هـــذا العلم التى وردت مجملة فى القـــرآن الكريم ، ومن تحتها علوم وأنباء عن المادة والحياة قائمة بذاتها ، « وجعلنـــا من الماء كل شىء حى » ، « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نســـبا وصهرا لله « وأنزلنا من السماء ماء فأخرجنـــا به أزواجا من نبات شتى » ، والاسلام يوجه العلم الى أن يكون أساسا للعمران ، لأن الاسلام دين القوة والحياة ، وهو يدعـــو المؤمنين الى ان يأخذوا بأسبابها ، ومن هنا كانت حكمة الحديث الشريف « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وان

أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » .

فالاسلام لا يرضى لابنائه أن يسلكوا مسلك الرهبانية والتبتل ، وأن ينعزلوا عن الحياة ، والعلم يستكشف ما فى الكون من عجائب تخدم الانسانية وتعمل على تقدم البشرية ، ان العلم يحفظ على الصناعة تقدمها ، ويجدد شبابها ويعمل على انهاضها ، كما أنه أساس التقدم فى كل نشاط زراعى وتجارى وسياسى وعسكرى ، ومن أجل ذلك كان الرسول يردد دائما ما حكاه ربه بقوله (وقل رب زدنى علما) .

خامسا : الايمان هو الركيزة الثانية للدولة العصرية :

ما مصدر الايمان فى الاسلام ؟ لو أردت مصدرا أساسيا لم أجد الا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، انه يقول « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » ، هذه الكلمات من كلام ربنا نجدها ترتبط كثيرا بالمطر الذى ينزل من السماء ، فالمطر يشبه الوحى الذى أنزل على قلب رسول الله ليحيى القلوب ، قال تعالى « انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ،

ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » ، وبعد ذلك يقول الحق « أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى » فنزول الوحى من السماء يشبه نزول المطر ، وهو الاحياء ، احياء الأرض واحياء القلوب ، وشيء ثان هو الحركة ، فلا يمكن أن تتصور ايمانا بدون حركة ، انه انتشار وحركة وليس جمودا وانكماشا ، « والشمس تجرى لمستقر لها » ، « والقمر قدرناه منازل » ، « والنخل باسقات لها طلع نضيد » ويقول تبارك وتعالى فى تدافع الحياة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » بل حياة الأمم ، « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » . واذا كان الكون كله من الحركة الكبيرة الى الحركة الصغيرة حركة دائبة فلا يمكن أن يقال عن الايمان انه جمود وتيبس .. اذن هناك ربط قوى بين الايمان وحركة الحياة ، هذه الحركة وهذه الفاعلية ، هذه المسئولية الواعية المفكرة هى التى يسميها القرآن بالأمانة ، قال تعالى « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان » واذا

كان من طبيعة الايمـــان أن يكون فى تطبيقة حركة متجـددة وتجربة مستمرة فأنت لا تستطيع أن تحكم على تجربة صادقة دائما ، من هنا يرتبط الايمان بالمستوى الاخــلاقى الذى يقوم عليـه العمل ، فأنت تؤمن بجميع الأنبيـاء وهذه هى وحـدة النبوات ، وتؤمن بالأخـوة الانسـانية وهـذه هى وحـدة البشرية ، وتؤمن بأن العمل الصالح يضم وحـدة الكون ، انه لا يمكن أن يكون الايمان الا عاملا ومنتجا وايجابيا ومستفيدا من كل التجارب السابقة .

ثم نتساءل : هل الاسلام فصل بين العلم والايمان ؟ أم أن الاسلام جعل العلم وسيلة الايمان ؟ ان العلم فى الاســلام له مستويات متعددة ، أعلى هذه المستويات هو رحمة الله تعالى .. ثم التـــاريخ الانسانى « قل سيروا فى الأرض » ، « وكلا نقص عليك من أنبـاء الرسل ما نثبت به فؤادك » ثم النفس الانسانية « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ثم هذه الآفاق ، ومع اتســاع العلم أصبحت القدرة الصغيرة لها آفاقها والكون الكبير له آفاقه ، حتى لكأن الذرة كون صغير ، أو كأن الكون الكبير ذرة كبيرة ، وعليك أن تستخدم حواسك وفكرك ، والقرآن يشير الى ذلك فى قوله تعـالى « ان السمع والبصر ــ وهذه الحواس هى اداة العلم التجريبى ــ والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » .

لم يحدث فى الاســلام فرقة بين العلم والايمــان ، وكيف تحدث والعلم فريضة يتقرب بها الانسان الى الله ، ان العلم نور الله ، فهو يزيد المؤمنين ايمانا ، ويزيدهم تعلقا بربهم « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنــا ما خلقت هذا باطلا ســبحانك فقنا عذاب النار » ، تلك روح المؤمن الذى يتعلم ، الذى يتفكر فى خلق السموات والأرض ويصل من تفكيره ذلك الى قوانين وحقائق تزيد من معلوماته ، وتفيده فى تعمير الأرض ، وهــو يمشى فى مناكبها ويأكل من رزق الله ، فيــدعوه ذلك كله الى معرفة الله . ولم يحدث فى التاريخ الاسلامى ان عالما يبحث فى الطب أو الفلك أو الكيمياء أو الطبيعة وجد نفسه معزولا عن العقيدة أو وجد العقيدة معطلة عن البحث العلمى الدقيق ، ولم تقم خصومة فى قلب المسلم بين علمه وايمانه وانما عاش العلم فى ظلال العقيدة يتقــدم وينشط ، ويربط قلبه بربه ويضبط سلوكه ، ويحدد الهدف من عمله ، وهو اسعاد البشرية واثراؤها بالحيــاة .

ولم يستخدم المؤمنون علمهم فى الشر أو التدمير ، وكيف يستخدم وهو عبادة يتقرب به الى الله ، كما يقول رسول الله :

« تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبـادة ، ومذكراته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » .

والمسلمون اليوم فى حاجة لأن يرجعوا الى العلم ، ليعيشوا عصرهم بما فيه من اختراعات وكشوف ولينفضوا عن أنفسهم غبـار التخلف الطويل وليؤسسوا دولتهم الحديثـة على أسس ثابتة تنهض بها فى قوة وحياة ، وليحيطوا علومهم بالايمان ، فهو العاصم من الزلل ، وهو الهادى الى طريق الحق ، وهو الذى يملأ القلوب اخلاصـا لله ، وحبا لله ، وتعلقـا به ، واذا تعلق الانسان بالله ، لم يخش أحدا سواه ، فينطلق الى الحياة ، وهو آمن على حاضره ومستقبله ، ولا تطارده عقـدة الخـوف .. والانسـان الحر هو عماد المجتمع الحر .. ولا ننسى قول عمر بن الخطاب لأحـد ولاته : « متى استعبدتم النـاس وقد ولدتهـم أمهاتهم أحرارا » .

ان الايمان هو الذى يحفز الى فرض معارك التحرير بدون خوف أو تردد لأنه يعتقد ان تحرير الأرض السليبة فرض لازم وواجب محتوم ، وان كل قطرة دم تراق فى سبيل تحرير الأرض انما هى وسام شرف لصاحبها عند الله ، فان انتصر عاش حرا عزيزا

كريما ، وان استشهد وجد عنـــد ربه ما لا عين رأت ولا أذن ســمعت ولا خطر على قلب بشر .

ونحن الآن فى معركة ضارية مع عدو مغــرور مخــادع ، يدفعـــه ماض حقود ، ويغريه حاضر مغرور ، ويطمعه مســـتقبل واهم — نحن فى أشد الحـــاجة الى العلم والى الايمان ، ننطلق بهما الى المعركة فلا صوت اليوم أعلى من صوت المعركة ، وصولا الى تحرير الأرض ، وتطهير المسجد الأقصى الأســـير ، وتحرير الانسان العربى .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وزارة الاعـــلام

الهيئة العامة للاستعلامات


Bibliotheca Alexandrina
0223842